

المثل السائر

أن يقول كلمة واحدة وهو أقلق اللسان يسيء العبارة فسألته عن زيارة شخص وهل يتردد إليه أم لا فقال طلام الليل يهديني إلى باب من أوده وضوء النهار يضل بي عن باب من لا أوده وهذا من ألطف المعاني وأحسنها وهو من الحكمة المطلوبة .

وكنت قصدت زيارة بعض الأخوان من الأجناد وهو من الأغتام فسألته عن حاله وكان توالى عليه نكبات طالت أيامها وعظمت آلامها فقال لي في الجواب ما معناه إنه لم يبق عندي ارتياح لوقوع نائبة من النوائب وهذا معنى لو أتى به شاعر مفلق أو كاتب بليغ لاستحسن منه غاية الاستحسان .

وكنت في سنة ثمان وثمانين وخمسائة بأرض فلسطين في الجيش الذي كان قبالة العدو الكافر من الفرنج لعنهم الله وتقابل الفريقان على مدينة يافا وكان إلى جانبي ثلاثة فرسان من المسلمين فتعاقدوا على الحملة إلى نحو العدو فلما حملوا صدق منهم اثنان وتلكأ واحد فقيل له في ذلك فقال الموت طعام لا تجشه المعدة فلما سمعت هذه الكلمة استحسنها وإذا هي صادرة عن رجل من أهل بصرى قدم من الأفدام .

ولو أخذت في ذكر ما سمعته من هذا لأطلت وإنما دلت بيسير ما ذكرته على المراد وهو أنه يجب على المتصدي للشعر والخطابة أن يتنبع أقوال الناس